المستجد للصراع العربي الاسرائيلي ، لم يمنع الاتحاد السوفييتي من « تقديم اقتراحات لا تختلف كثيرا عن مضمون زيارة القدس » (ص ١٣٥) ثم يضيف « لا اظن ان الاتحاد السوفييتي خائف من نجاح في الشرق الاوسط لا يشترك في صنعه » (ص ١٤٢) ·

هذا العرض « الكاريكاتوري » لموقف السوفييت ، الواضح في تناقضاته ، لم يتعمد هيكل عدم ذكر اية كلمة فيه عن حقيقة وجوهر موقف الاتحاد السوفييتي وسياسته من الصراع في المنطقة ، والتي تنشر ويؤكد عليها باستمرار ، بل انه تحدث عنه بشماتة قبلية ، فقد فيها « رصانته » ، ثم راح يحمله قسطا متساويا من المسؤولية فيما يجري : « ان الاتحاد السوفييتي مسؤول عما حدث مسؤولية الآخرين ، فقد كانت له اخطاؤه القاتلة وكان له اسلوبه الغليظ بالكلمات والتصرفات » (ص ١٤٤) ·

والمفارقة هنا ، ان هيكل الذي كان يشير في احاديثه الاخرى وهو ينتقد سياسة السادات ، الى هدف اميركا بابعاد السوفيات من مصر والمنطقة ، بل ووضعه هذا الهدف في رأس قائمة تعداد التنازلات « الهائلة » التي قدمها السادات ، فانه هنا ، يقوم باعادة الاعتبار للموقف الاميركي بالنسبة للموقف من الاتحاد السوفييتي فيقول « كانت الولايات المتحدة تعتذر لنفسها بأنها تريد دوره (اي الاتحاد السوفييتي) لكن اصدقاءه العرب هم الذين لا يريدون (؟) ··وخرج بعض العرب لمطاردته خارج حدود الاقليم العربي وكأنهم موكلون بمطاردته حيث يكون ، وكأنها حرب صليبية ضده » (ص ١٤٤) ·

هكذا يبدو هيكل مرة اخرى ، شديد الارتباك والتخبط ، بل وتعمد السذاجة ، والا فما هي مصلحة السادات المباشرة ، في معاداة السوفيات وابعادهم من مصر ،دون اشتراط ذلك والالحاح عليه من قبل الولايات المتحدة ، حيث تضعه في رأس اهدافها في المنطقة ؟

ماذا اراد هيكل ان يقول في احاديثه ؟

اذا ما استثنينا الوظيفة الهامة التي تؤديها انتقادات ومعارضة هيكل للمبادرة ولنهج السادات وسياسته ، فان مواقفه الاخرى من اميركا والاتحاد السوفييتي ودول « الصمود والتصدي » ، تؤدي وظيفة معاكسة لذلك تماما · فهل اراد هيكل ان « يوازن »في مواقفه ام انه اعتبر ما تحدث فيه برنامجا صالحا للعمل وادارة الصراع ؟

في الصفحات الاخيرة من كتابه قال « ان سنة او سنتين هي فترة كافية لتغيير اوضاع العالم العربي ، ولخلق موازين جديدة فيه » (ص ٢١٠) · بيد ان هيكل الذي كشفت له المبادرة ،المواقف والافكار والقدرات ، اوصلته الى الاستنتاج بأن « القوة العربية على فرض وجود الكفاية فيها لا تستطيع ان تفرض السلام لانها لا تعرف اي سلام تريد » (ص ٢٧٨) ، ذلك لان الاختلاف كبير بين « القيم السائدة » ، ومراحل التطور والمواريث والحضارة ، خاصة وان اسرائيل « تملك قرابة عشرين قنبلة نووية » (ص ٢٨٧) ·

ربما لم يكن هيكل يرمي الى تصوير « الطريق المسدود » ، ولا الى رسم افاق سوداء ، لمستقبل الصراع العربي – الاسرائيلي ، الا انه عرض افكاره « بامانة » وعلى الاخرين ان يفكروا ! لكن الحقيقة غير ذلك · وهذه الحقيقة تكمن في جوهر المنهج الفكري والسايسي لهيكل ومدرسته · فهو اذ ينتقد مبادرة السادات ونهجه وسياسته ، لا يستطيع او لا يريد ان يرى النهج والسياسة الاخرى ذات الطابع الوطني والديمقراطي ، والتي لا تمثلها النظم العربية القائمة بالضرورة ·